

تفسير البحر المحيط

@ 400 أَلَا نَزَّتْ وَكَرَّ لِعَلَى اللَّاهِ وَقَدَّ هَدَانَا سُبُلَانَا وَلَنْدَصْبِرَنَّ
 عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّاهِ فَلَايْتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَقَالَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ
 لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ
 الظَّالِمِينَ * وَلَنُسْكَنَنَّكُمْ الْاَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ
 مَقَامِي وَخَافَ وَعَبَدَ * وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّنْ
 رَّآئِهِ جَهَنَّمَ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ
 يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ
 رَّآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (7 ! .

{ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَرَاكُمْ إِلَّا بَشْرًا مِّثْلُكُمْ وَلَا كُنَّا اللَّاهِ
 يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا { : سلموا لهم في أنهم
 يماثلونهم في البشرية وحدها ، وأما ما سوى ذلك من الأوصاف التي اختصوا بها . فلم يكونوا
 مثلهم ، ولم يذكروا ما هم عليه من الوصف الذي تميزوا به تواضعاً منهم ، ونسبة ذلك إلى
 ا . ولم يصرحوا بمن ا عليهم وحدهم ، ولكن أبرزوا ذلك في عموم من يشاء من عباده .
 والمعنى : يمن بالنبوة على من يشاء تنبئته . ومعنى بإذن ا : بتسويغه وإرادته ، أي
 الآية التي اقترحتها ليس لنا الإتيان بها ، ولا هي في استطاعتنا ، ولذلك كان التركيب :
 وما كان لنا ، وإنما ذلك أمر متعلق بالمشيئة . فليتوكل أمر منهم للمؤمنين بالتوكل ،
 وقصدوا به أنفسهم قصداً أولياً وأمرها به كأنهم قالوا : ومن حقنا أن نتوكل على ا في
 الصبر على معاندتكم ومعاداتكم ، وما يجري علينا منكم . ألا ترى إلى قولهم وما لنا أن لا
 نتوكل على ا ومعناه : وأي عذر لنا في أن لا نتوكل على ا وقد هدانا ، فعل بنا ما يوجب
 توكلنا عليه ، وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يوجب عليه سلوكه في الدين .
 والأمر الأول وهو قوله : فليتوكل المؤمنون لاستحداث التوكل ، والثاني للثبات على ما
 استحدثوا من توكلهم . ولنصبرن جواب قسم ، ويدل على سبق ما يجب فيه الصبر وهو الأذى .
 وما مصدرية ، وجوزوا أن يكون بمعنى الذي . والضمير محذوف أي : ما آذيتمونا وكان أصله
 به ، فهل حذف به أو الباء فوصل الفعل إلى الضمي قولان ؟ وقرأ الحسن : بكسر لام الأمر في
 ليتوكل وهو الأصل ، وأو لأحد الأمرين أقسموا على أنه لا يد من إخراجهم ، أو عودهم في ملتهم
 كأنهم قالوا : ليكونن أحد هذين . وتقدير أو هنا بمعنى حتى ، أو بمعنى إلا أن قول من لم

ينعم النظر في ما بعدها ، لأنه لا يصح تركيب حتى ، ولا تركيب إلا أن مع قوله : لتعودن بخلاف لألزمناك ، أو تقضييني حقي والعود هنا بمعنى الصيرورة . أو يكون خطاباً للرسل ومن آمنوا بهم . وغلب حكم من آمنوا بهم لأنهم كانوا قبل ذلك في ملتهم ، فيصح إبقاء لتعودن على المفهوم منها أولاً إذ سبق كونهم كانوا في ملتهم ، وأما الرسل فلم يكونوا في ملتهم قط . أو يكون المعنى في عودهم إلى ملتهم سكوتهم عنهم ، وكونهم إغفالاً عنهم لا يطالبونهم بالإيمان باٍ وما جاءت به الرسل . .

وقرأ أبو حيوه : ليهلكن الظالمين وليسكننكم ، بياء الغيبة اعتباراً بقوله : فأوحى إليهم ربهم ، إذ لفظه لفظ الغائب . وجاء ولنسكننكم بضمير الخطاب تشريفاً لهم بالخطاب ، ولم يأت بضمير الغيبة كما في قوله : فأوحى إليهم ربهم . ولما أقسموا بهم على إخراج الرسل والعودة في ملتهم ، أقسم تعالى على إهلاكهم . وأي إخراج أعظم من الإهلاك ، بحيث لا يكون لهم عودة إليها أبداً ، وعلى إسكان الرسل ومن آمن بهم وذرياتهم أرض أولئك المقسمين على إخراج الرسل . قال ابن عطية : وخص الظالمين من الذين كفروا ، إذ جائز أن يؤمن من الكفرة الذين قالوا المقالة ناس ، وإنما توعد لإهلاك من خلص للظلم . وقال غيره : أراد بالظالمين المشركين ، قال تعالى : { إِنَّ الشَّرْكَ لَكُفْرٌ عَظِيمٌ } والإشارة بذلك إلى توريث الأرض الأنبياء ومن آمن بهم بعد إهلاك الظالمين كقوله